ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

The Effect of Place on the Purpose of Pride in the Poetry in Mu'jam al-Buldan

Nazim Hussein Jassim
Tikrit University/ College of Education
Maitham Ali Abbad
Tikrit University/ College of Education
* *Corresponding author: E-mail* : Nh231141ped@st.tu.edu.iq

Keywords:
Pride
Place
Dictionary of Countries
Islamic Era
Diwan of Hassan bin Thabit

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 1 Mar 2025
Received in revised form 25 Mar 2025
Accepted 2 Mar 2025
Final Proofreading 25 Sept 2025
Available online 25 Sept 2025
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

After an extensive reading of the poetry Yakut al-Hamawi's *Mu'jam Al-Buldan* (626 AH) in the Islamic and Umayyad eras, with the aim of searching for the effect of place in the manifestation of the purpose of pride in the poetry included in this book, it became clear that place has an effective effect in the manifestation of this purpose, as the places that witnessed the battles that took place between Muslims and infidels had a great impact on the poet's psyche, which made him proud of those places through the victories that occurred in them. On the other hand, the poets' attachment to the places and homes that they inhabited and loved had a clear effect in the emergence of the purpose of pride, as the poets were more proud of their homelands and homes that they inhabited and had beautiful memories of, with the aim of immortalizing them and their ancient glory through Their poetry

© 2025 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.9.1.2025.1

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

اثر المكان في غرض الفخر في شعر شعراء معجم البلدان

ناظم حسين جاسم / جامعة تكريت/ كلية التربية
ميثم علي عباد/ جامعة تكريت/ كلية التربية

الخلاصة:

بعد قراءة مستفيضة لشعر شعراء معجم البلدان لياقوت الحموي (٦٢٦ هـ) في العصر الاسلامي والاموي ؛ بهدف البحث عن اثر المكان في تجلي غرض الفخر في شعر الشعراء ، تبين أن للمكان اثراً فاعلاً في تجلي هذا الغرض ، إذ اصبح للأمكنة التي شهدت المواقع التي دارت بين المسلمين والكفار تأثيرٌ كبيرٌ على نفسية الشاعر ، ما جعله يفخر بتلك الأمكنة من خلال الانتصارات التي حدثت فيها ، ومن جانب آخر فإنَّ لِتعلق الشعراء بالأمكنة والديار التي سكنوها وأحبوها اثراً واضحاً في بروز غرض

الفخر ، إذ أكثر الشعراء من فخرهم بمواطنهم وديارهم التي سكنوها وكانت لهم فيها ذكريات جميلة، بهدف تخليدهم لها ولمجدها العريق من خلال أشعارهم .

الكلمات المفتاحية : الفخر ، المكان ، معجم البلدان ، العصر الإسلامي ، ديوان حسان بن ثابت ، ديوان عبدالله بن رواحة

المقدمة :

شَكلَ المكان حضورًا مهمًا في تشكيل غرض الفخر في الشعر خلال العصرين الإسلامي والأموي، فقد تنوع التعاطي مع الامكنة على النحو الذي ينسجم مع خصوصية النص.

إذ كان للمكان دور في إبراز الانتصارات الإسلامية، فتفاخر الشعراء بهذه الفتوحات التي وقعت في أماكن مختلفة، مثل العراق والشام ومصر، وأصبحت أسماء المدن والأماكن ميدانًا للتفاخر بالفتوحات والانتصارات التي حققها المسلمون ، ومع توسع الدولة الأمويّة إلى مناطق جديدة مثل الأندلس، و فارس، وشمال إفريقيا، ارتبط الفخر بالشعراء الذين شهدوا هذه الفتوحات. وقد كانت الأماكن الجديدة التي تم ضمها إلى الدولة الإسلامية مجالًا واسعًا للفخر بإنتصارات المسلمين وبسط سيطرتهم على مساحات واسعة ، بقيت القبائل العربية في الصحراء والبادية تحتفظ بفخرها القبلي، مستمدة قوتها من المكان الذي عاش فيه أجدادها ، واستمر الفخر بالبيئة الصحراوية والقدرة على الرغم من تحمل ظروفها القاسية، فالشاعر في توافق مع جدل الحياة التي أملت عليه قيمًا معينةً في التعامل مع هذه الامكنة[١]، وكان الشعراء – أمثال جرير والفرزدق– يفخرون بقبائلهم التي تنحدر من هذه المناطق. ومن الجدير بالذكر أن هذا البحث مستل من اطروحتي للدكتوراه الموسومة (الأمكنة والديار في شعر شعراء معجم البلدان العصر الإسلامي أنموذجًا)

الفخر :

قال أسيد بن المستشمس بعد استرداد خراسان مفتخراً بانتصارات المسلمين [٢] : **(الطويل)**

ألا أبلغا عثمان عني رسالة ... لقد لقيـــت عنا خراسان ناطحا

رميناهم بالخيل من كل جانب ... فولوا صراعًا واستعادوا النوائحا

غداة رأوا الخيل العراب مغيرة ... تقرب منهم أســـدهن الكوالحا

تنادوا إلينا واستجاروا بعهدنا ... وعادوا كلابا في الديار نوابـــحا

ينهض النص على الافتتاح بالأداة (ألا) بوصفها صيغة خطاب شعري تنسجم مع خصوصية القصد الذي يريده الشاعر، موظفًا المكان (خراسان) في نص الفخر كونه بؤرة النص الذي يدور حوله المعنى، فالشاعر يقرب المكان– خراسان– بمشهد الفتح وحركية المعركة التي وظف لها ادواتها (الخيل / مغيرة/ استجار/ بعهدنا)،

ثم يسترسل الشاعر في نقل ما حدث في ديار خراسان، وكيف كانت نتيجة الحرب التي قضت باستسلام الكفار واستجارتهم بالمسلمين بعد أن خسروا وعادوا الى ديارهم كالكلاب النوابح ((وهذا ما يجعل شعر الفتوح الشرقية سجلًّا هامًّا ووثيقة تاريخية، ومرجعًا وجدانيًّا بالغ القيمة في الكشف عن عواطف الفاتحين وظروف حياتهم في الميدان، وما كان يضطرب في أعماقهم من مشاعر وأحاسيس، صورها الشعر تصويرًا واضحًا شاملاً))[٣] .

ومن صور حضور المكان في الفخر قول عبد الله بن رواحة مفتخراً بجيش المسلمين[٤] : (الوافر)

جلبنا الخيل من اجا وفرع	**تغرّ من الحشيش لها العكوم**
حذوناهم من الصوّان سبتا	**أزلّ كأنّ صفحتـــــه أديم**
أقامت ليلتيـــن من معان	**فأعقب بعد فتـــرتها جموم**
فرحنا، والجياد مسوّمات	**تنفّس في مناخرها السّموم**

افتتح الشاعر نصه الشعري مفتخراً بجيش المسلمين الذي عبر عنه من خلال الخيل الكثيرة التي جاءت من (جبل اجأ و فرع) [٥] لاسيما وأن هذه الجيوش قد اهتمت بالخيل فقد أحذتها و أعدتها للحرب والمنازلة ما دعا الشاعر للافتخار بهذا الجيش الذي أُعد بكل ما تحتاجه الحرب ليكون جاهزا للمنازلة بعد أن أخذت راحتها في المكان الذي ذكره الشاعر في (معان)[٦]، وقد أورد الشاعر الدلالة المكانية في معرض حديثه عن الفخر لما فيه من ((فضاء دلالي نفسي معبر وخزان حقيقي للأفكار والمشاعر والحدوس، حيث تنشأ بين الانسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر كل طرف فيها على الاخر))[٧]، ثم يتجه الشاعر ليرسم لنا صورة الجياد المسومة التي لشدة ما بها من بأس و إنها معلمة على النزال في سوح الوغى تتنفس السموم والنقع ؛ لا شك فإنها أسرجت لخير الفوارس ، ففي معركة مؤتة التي سجلت أروع معاني البطولة والاباء فكانت ملحمة تاريخية خالدة الى يوم القيامة بكل تفاصيلها من مكان وزمان و وفرسان و جياد، ولا شك فإن الفرسان يفتخرون بمفازتهم التي حققوها في سوح الوغى سواء كان كالفخر جماعيًا أو فرديًا فعبدالله بن رواحة كان فخره جماعيا.

ومن الفخر أيضًا قول عاصم بن عمرو في أيام خالد بن الوليد لما فتح السواد وملك الحيرة[٨] : (الوافر)

جلبنا الخيل والإبل المهارى إلى الأعراض أعراض السّواد[٩]

ولم تر مثلنا كرما ومجدا، ولم تر مثلنا شنخاب هاد [١٠]

شحنّا جانب الملـطاط منا بجميع لا يزول عن البعاد [١١]

لزمنا جانب الملطاط حتى رأينا الزرع يقمع بالحصـاد

لنأتي معشرا ألبوا علينـا إلى الأنبـــار أنبار العبــاد

يتضح من النص الشعري أن الشاعر شديد الافتخار بقومه وجيشهم الذي توالت على يديه الانتصارات، والفتوح الإسلامية في الأمصار كافة، إذ نجد ذلك واضحاً في النص الشعري، فقد عبر الشاعر عن فخره بجيشهم الذي فتح الامصار من خلال جلبهم للغنائم التي تعد من دلائل النصر والظفر بالأعداء، لاسيما وأنهم غنموا الخيل ، والابل سريعة الجري التي لا يمتلكها إلا الفرسان ؛ لذلك تعد دلالة واضحة على أنهم قتلوا من كان يمتطيها من فرسان الكفار وأصبحت غنيمة للمسلمين، واستجلابها الى ديارهم دلالة يريد الشاعر من خلالها تعزيز حب الانتماء للأرض التي سكنها وضحى من أجلها و أجل الدين الذي نزل على أراضيها، فالعلاقة ((مبنية على مبدأ التجاذب والتقاطب والتأثير والتأثر والتفاعل بين الشاعر والامكنة))[١٢]، ثم يؤكد الشاعر تمكنهم من الأعداء وفتح الأمكنة من خلال تكرار ذكرها في النص الشعري إذ كرر (الملطاط) ليؤكد من خلال هذه الدلالة المكانية غرض القصيدة التي أراد به الفخر بقومه وجيش المسلمين الذين لزموا تلك الأمكنة وباتوا رافعي الرؤوس رغم تأليب الكفار لأنصارهم إلا إنهم لم يظفروا بما أرادوا في الانبار وغيرها من الأمكنة التي وجدوا فيها .

وقد افتخر الشعراء بشهداء المسلمين، ومن ذلك ما ذكره الشاعر عبد الرحمن بن جمانة مفتخرا بسلمان بن ربيعة وقتيبة بن مسلم الباهليين الذين دفنا حيث استشهدا في أرض (بلنجر) والصين فهو يقول [١٣]: الطويل

وإن لنا قبرين: قبر بلنج[١٤]، وقبر بصين استان يا لك من قبر

فهذا الذي بالصين عمّت فتوحه، وهذا الذي يسقى به سبل القطر

من خلال قراءة النص نجد أن الشاعر جعل من المكان منطلقا له في اظهار الغرض الشعري الذي اراده، فهو لم يكتف بالفخر انما جعل من قبر الشهيدين سببا للفتوح الإسلامية في بلاد العجم ونزول

القطر عندما تحبس السماء قطرها؛ لأنَّ الشاعر جعل من القبور امكنة أخرى لها دور فاعل مثلها مثل الأمكنة في الحياة لذلك ((فإنَّ للموت أمكنة أيضا ومن نوع اخر، فالقبور في قصائد الشعراء لا تكاد تحصى، ولكنها في الشعر ليست مساحات جغرافية صما مثلما هي في الواقع))[١٥] إنما خيال الشاعر جعل منها امكنة تجذب الناس اليها وتشعرهم بالأمن والخير العميم.

إن التوظيف الإبداعي للمكان ضمن النسق الشعري جعل منها أمكنة أليفة ؛ لأنّها باعتقادهم سبب لنزول المطر وإشاعة الخير بين الناس، إذن من خلال هذا التحول الذي صنعه الشاعر في ماهية المكان تحول المكان (القبر) من مكان موحش ومُعادٍ الى مكان اليف، وما ذلك إلا بسبب الخيال الخصب لدى الشاعر ودلالة الأمكنة عند ورودها في السياق الشعري، والذي يتلاءم معها ليكوّن صورة شعرية ذات قيمة جمالية معبرة عن روح النص ودلالته الشعرية.

قال جرير مفتخرا بقومه وذاكرًا للأمكنة [١٦] : (الكامل)

و إذا الحجيج الى المشاعر اوجفــوا ... فاسأل كنانة واســأل الأنصارا

واسأل ذوي يمـــــن اذا لاقيـــــتهم ... واسال قضــاعة كلـــها ونزارا

من كان اثبـــــت بالثغور منـــــــازلا ... ومن الاعــز اذا اجار جـــــوارا

نحن الحماة غداة جوف [١٧] طويلع ... والضاربون بطخفة[١٨] الجبارا

هل تعرفـــــون على ثنيـــــة اقرن ... عبسا غداة اضعتـــم الادبارا

ضيعتم بلـــــوى الذنائب نســـــــوة ... للحـــارثي فبـــــــاشرالأسرارا

نلحظ من النص الشعري أن الشاعر رسم صورة المجد والإباء والعزة والمنعة لقبيلته، جاعلا تلك الصفات مدخلا للفخر بأمجاد قومه وكرمهم وشجاعتهم بالنزال إذا ما نازلهم أحد، فهم من يرفد الحجيج في المشاعر جاعلا من القبائل العربية شاهدا على كرمهم وشجاعتهم، وقد طفق يعدد القبائل العربية (كنانة /الانصار /اهل اليمن /قضاعة /نزار) وما كان تعداده لتلك القبائل إلا تمجيدا وافتخارا بقومه امام العرب, وليبلغ الخصوم بمآثر قومه مفتخرا امامهم، لاسيما إنه جعل من صياغة دلالات المكان (مشاعر الحجيج) في هذا التقادم البشري والتجمع المتسارع نحو أداء مناسك الحج، وحضور قومه في هذه الاثناء وارفادهم ، ماهي إلا لإظهار غرض النص الشعري المتمثل بالفخر،((فالصياغة اذن خلق مستمر للموضوع عند كل قراءة، وليس المكان مكان واحد بل امكنة تتعدد كلما تعددت القراءة، وتجددت ادواتها))[١٩]

ثم ينتقل الشاعر الى إثبات شجاعة قومه لمن كان لديه شك في شجاعتهم بأن يسأل القبائل عن ثبات قومه في الثغور واجارة المستجير وايراده لتلك الصفات؛ لأنها من الصفات التي تتغنى بها العرب، وتعد من أجل الصفات التي كان يفتخر بها، ونجد أن الشاعر كان يُذكّر بأيام العرب ((جوف طويلع/ يوم طخفة)) حتى يعطي النص دلالة مكانية تزيد من القيمة الجمالية للغرض الشعري الذي أراده من النص ؛ لاسيما وأنه يختتم بهجاء أعداءه، واصفا إياهم بانهم انهزموا ولم يستطيعوا أن يحموا من كان خلفهم من ديار ونساء وانعام، حتى تمكن منهم من كان يتحين الفرصة لغزوهم وسلبهم بعد أن ولوا مدبرين.

من خلال ما سبق نجد أن الشاعر حشد العديد من الأمكنة والمواضع، إذ تتمثل ((من خلال المكان جملة من الأحاسيس والمشاعر التي ربما أثارها المكان بحمولاته التذكيرية التي لها صلة بالذات في لحظة من لحظاتها السالفة))[٢٠] ليستجلب بذلك دلالة واضحة على الفخر الذي كان هم الشاعر ايضاحه من النص الشعري، موظفا بذلك أسلوب الحوار اذ أنه يورد التساؤلات ثم يجيب عنها ليحقق بذلك غايته التي أرادها وهي الفخر بالقبيلة والنيل من الخصوم ، ولاسيما بهجائه لهم في نهاية النص الشعري .

ومن صور استحضار الامكنة في هذا الغرض قول حسان بن ثابت[٢١] :(الوافر)

كأنّ سبيئة مـــــن بيت رأس ... يكـــون مزاجها عسل وماء
فنشربها، فتتـــــركنا ملوكا ... وأســـــدا ما ينهنهنا اللّقاء
عدمنا خيلنا ان لـــــم تروها ... تثير النقع مـــــوعدها كداء
يبارين الاعنـــــة مصعدات ... على اكتافها الاســـل الضماء
تظل جيادنا متمطـــــرات ... تلطمهن بالخمـــــر النساء
فأما تعرضـــوا عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشـف الغطاء
وَإِلاَّ فَاصْبِـــــرُوا لِجلاد يَوْمٍ ... يُعِـــزُّ اللَّهُ فِيهِ مَـــنْ يَشَاءُ
وقال الله قـــــد أرسلت عبدا ... يقـــول الحق ليس به خفاء
وقال الله قـــــد أرسلت جندا ... هم النصـــار عزمتها اللقاء
لَنَا فِي كُلِّ يَـــــوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِبَاءٌ أَوْ قِتَـــــالٌ أَوْ هِجَاءُ
فمن يهجو رســـول الله منكم ... ويمدحه وينصـــــره سواء
وجبريل رســـــول الله فينا ... وروح القدس ليـــس له كفاء

يشهد النص الشعري تصاعداً كبيراً في وتيرة الفخر والحماسة التي نلمسها في ثنايا النص الشعري، فالشاعر أراد أن يرد على من هجا الرسول ، فنجده يبدأ بالنسيب كعادة العرب قديما، فقد وصف الخمر

وكيف تجعل من يشربها يشعر بأنه ملك ساعة الشرب لكنها عند حسان بن ثابت تجعله كالأسد لا يهاب الموت، فهي مسخرة حتى في هذا الموضع لخدمة الدعوة الإسلامية، ولاسيما تلك التي تصنع في ((بيت رأس))[٢٢]، فالشاعر هنا جعل من اختيار المكان الأجود في صنع الخمر، إذ إنه أراد أن يكون سياق القصيدة ذا نمط واحد من حيث الاجادة، ثم بعد أن انتهى من الافتتاحية أخذ يفخر بقوة المسلمين وكان فخره نابعا من الروح الإسلامية التي غيرت نهج الشعراء السابقين الذين كان فخرهم عصبيا, فنجد أن الفخر هنا نابع من رغبة الشاعر في نصرة الدٰين، وإعلاء كلمة الله، والرد على من أراد أن يتعدى على الدين الإسلامي، من خلال هجاء الرسول ، ونجد أن الشاعر قد مزج بين الفخر والمدح وختم بالهجاء مما أعطى النص قيمة جمالية امتزجت بها روح الحماسة والفخر، لاسيما وانه جعل من المكان دلالة متنقلة في النص الشعري ليتساوق معها الغرض الذي يريد تجليه الشاعر من خلال السياق((فالشاعر يحمل خيال المتلقي الى الأماكن التي يذكرها في شعره والبارعون منهم من يوصل ذات الشاعر والاحاسيس التي يشعر بها الى المتلقي وكأنه هو من مر بهذه التجربة))[٢٣] ومن ذلك قوله :

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء

ففي هذا البيت الشعري تتجلى الدلالة المكانية مثيرة حماس الشاعر لقول ما بمخيلته من شعر تتزاحم فيه مشاعر الفخر إذ نجده يدعو بهلاك خيلهم إن لم تحقق لهم ما يطمحون اليه من نصر مؤزر في ساحات الوغى وامكنتها التي حددها الشاعر في (كداء)[٢٤] التي جعلها الشاعر مكان انطلاق المسلمين لإثارة النقع ورمي الاسنة في صدور الأعداء، ثم يسترسل الشاعر مفتخرا بقوة المسلمين وعزمهم على القتال وفتح مكة رغم انف المشركين جاعلا من النص وسيلة إعلامية إضافة الى ما يتمتع به المسلمون من قوة ايمانية يعززها وجود الرسول ﷺ بينهم ذائدين عنه وعن الإسلام بكل ما لديهم من قوة ومنعة، وقد وظف الشاعر الدلالة الزمانية ليكثف المعنى والغرض الذي يريده كما في قوله :

وَإِلاَّ فَاصْبِرُوا لِجلاد يَوْمٍ يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ

فنجده يعد المشركين بيوم لإبراز دلالة الزمن التي من خلالها أوضح الشاعر أن النصر حليف المسلمين لإيمانهم بالله ونصرة دينه، معضدا ذلك المعنى بالبيت الذي يليه والذي يحمل دلالة زمانية متمثلة بقوله :

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ سِبَاءٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ

فإيراده للفظة يوم يدلّ على توظيف الشاعر للزمن بوصفه الفيصل لحسم كل نزاع لأن العزة كما يصفها الشاعر مرتبطة بمن آمن بالله فاعزه الله لإيمانه و إن للمسلمين في كل يوم واقعة سواء مادية بالحرب او معنوية بالشعر الذي يكون كوقع السيف على رقاب المشركين.

من خلال ما سبق يتضح أن الفخر في هذا النص الشعري كان في سياق واحد محافظاً عليه وهو الفخر الإسلامي، فلم تحمل العصبية القبلية الشاعر على الافتخار، إنما ما حمله هو نصرة الدين الإسلامي، والذود عن الرسول ﷺ، في حين نجد أن بعض الشعراء رغم وجود قيود الإسلام الا إن العصبية القبلية واضحة في اشعارهم، وقد وظف شعراء الطريقتين المكان بشكل جلي وواضح في الغرض الذي عمدوا عليه، ومن ذلك قول زيد الخيل[٢٥] : (الكامل)

نحن صبحناهم غــداة محجّر ... بالخيل محقبــه على الأبدان[26]
نزجي المطيّ منعّــلا أخفافها ... والجرد مــــرسلة بلا أرســـان
حتى وقعنـــا في سليم وقعة ... في شر ما يخشى من الحدثان
فاسأل غراب بني فزارة عنهم، ... واسأل بنا الأحلاف من غطفان
واســأل غنيّا يوم نعف محجّر ... واسأل كــلابا عن بني نبهــان
نرمي بهنّ بغمــرة مكروهة ... حتى يغبــن بنا إلى الأذقـــان

مما نلحظ في النص الشعري أن الشاعر بدأه بالفخر الذي تمثل بإيراد الدلالة الزمانية والمكانية في آن واحد، فهو كر على الاعداء في الصباح وهذا دلالة على الشجاعة، اذ لم يأتِ متخفيا في جنح الليل إنما جاءهم صباحا مما جعل من دلالة الزمن سببا يبلغ به غرضه من النص الشعري حتى إنه ليفتخر بأن خيولهم مرسلة بلا أرسلان نحو عدوهم، وكأنها تريد الظفر بهم مثلما يريد أصحابها، ويسترسل بذكر من أنكر شجاعتهم بأن يسال القبائل التي شهدت مواقعهم وانتصاراتهم راجعا بذلك الى الفخر القبلي الذي أوشك أن ينتهي بظهور الإسلام ويعد رجوعه((لعبة زمنية تمنح الفعل الشعري قابلية اكبر على الحركة والظهور))[٢٧] ومن ذلك قوله :

فاسأل غراب بني فزارة عنهم ... واسأل بنا الأحلاف من غطفان
واسأل غنيّا يوم نعف محــجّر ... واسأل كلابا عن بني نبــان

ففي هذين البيتين يذكر من اجحد عليهم شجاعتهم وانتصاراتهم في ساحات الوغى ولا شك أن ايام العرب تشهد لهم بالفروسية والشجاعة كما في يوم (نعف محجر) فقد جعل من استرجاع الماضي التليد دلالة زمانية ليؤكد بها فخره بقومه وانتصاراتهم جاعلا من الأمكنة التي ضمنها في التشكيل الشعري داخل النص مسرحا لتموضع الغرض الشعري الذي أراده ، وقال القعقاع بن عمرو التميمي[٢٨] :(الطويل)

وهل تذكـــــرون، إذ نزلنا وأنـــتم ... منازل كسرى، والأمـــور حوائل
فصرنـا لكم ردءا بحلوان[29] بعد ما ... نزلنا جميعا، والجميـــع نـــوازل
فنحن الأُلى فزنا بحلـــوان بعد مـــا ... أرنّت، على كسرى، الإما والحلائل

نجد أن الشاعر قد وظف المكان للتعبير عن الفخر في النص الشعري ومما يدلل على ذلك إنه كرر المكان اكثر من مره كما في لفظة (حلوان) مما جعل لها تأثيرً كبيرا على الشاعر، ولاسيما في التعبير عن غرضه الشعري؛ لان ((الانسان يُخضع العلاقات الإنسانية لنظم واحداثيات المكان، في دينامية تعالق بين الانسان والمكان، فقد عزز هذا التبادل التأثيري بينهما))[٣٠]، فجاء توظيف المكان في النص له دلالته النفسية والمعنوية، فضلًا عن دلالات جمالية التي اثرت النص وزادت رونقه لفظًا وايقاعًا .

ومن الفخر ما جاء في قول كثير عزة [٣١] : (الطويل)

ونحن منعنا، من تهـــامة كلـها ... جنوب نقا الخوّار فالدّمث السّهلا[٣٢]
بكل كميت مجفر الدّفّ ســـــابح، ... وكـــل مـــزاق وردة تعـلك النّك
غوامض كالعقبان ان هي أرسلت ... وان امسكت عن غربها نقلـــت نقلا
عليهن شعـث كالمخاريق كلهم ... يعد كريمـــا لا جبانا ولا وغـــلا
بأيديـــــهم خطية وعلـــيهم ... سوابغ فرعـــونية جدلت جـــدلا
ترانا ذوي عـز ويزعم غيرنـــا ... من اعدائنا ان لا يـــــرون لنا مثلا
نحارب اقوامـــا فنسبـي نسائهم ... ونصفـــدهم اسرا ونوجعهم قـــتلا
فيؤخذ منا العقل دون دمـــــاءنا ... ونأبا فلا نستـــاق من دمنا عـــقلا

يفصح النص الشعري عن لغة الجماعة ومدى فخره بقومه والتغني بأمجادهم وعزتهم، جاعلا من تلك الأمكنة والمواضع المتمثلة (بتهامة ، نقا الخوار ، الدمث) منطلقا له باتجاه الفخر بقبيلته، فهو يفتخر بخيل قومه التي يكاد ينسلخ جلدها من شدة سرعتها في العدو تجاه الأعداء والنزال، إذ يشبهها كالعقاب إذا أراد أن ينقض على فريسته، في تلك الأمكنة التي تتميز بانها لينة الرمل جاعلا منها دلالة مكانية يرفد بها غرضه الشعري الذي يريد من خلاله الفخر بخيله التي لا يعوقها عائق، وما من شك فإن الفارس الذي يمتطي صهوة هذه الخيل إنما هو الفارس القوي جعد الشعر صارم كالسيف في الحده، ليس بالجبان ولا الرديء، ثم يسترسل الشاعر مفتخرا ؛ فنجده بعد افتخاره بالخيل والفرسان يعكف باسطا يده للفخر ليرسم لنا صورة جمالية من الفخر بقومه الذين يعدهم من خيار القوم حتى الأعداء يشهدون لهم بذلك فهم لم يجدوا لهم مثيلا، ثم تنثال معاني الفخر التي رفدتها مخيلة الشاعر من خلال التراكيب

الشعرية في النص الشعري، فاستخدموا البحور ذات النفس الطويل[٣٣] لتمكن الشاعر من وصف قومه مفتخرا بهم كونهم يحاربون الاقوام فيأسرونهم ويصفدونهم بالأغلال ثم يسبون نساءهم ؛ ومن شدة فخره بقومه انهم لا تؤخذ منهم دية من قتل أو سبي ، قال حسان بن ثابت الأنصاري[٣٤] : (الطويل)

منعنا رسول الله، إذ حلّ وسطنا — على أنف راض من معدّ وراغم

منعناه، لما حلّ بين بيوتنا — بأسيافنا من كلّ باغ وظالم

ببيت حريد عزّه وثراؤه — بجابية الجولان بين الأعاجم[٣٥]

هل المجد إلا السؤدد العود والندى — وجاه الملوك واحتمال العظائم؟

يُظهر النصُ الشعري مدى فخر الشاعر واعتزازه برسول الله هو وقومه لمّا حل بينهم مما جعل الشاعر يوظف المكان في اظهار الفخر والعزة بقدوم الرسول ﷺ بين ظهرانيهم، لاسيما تخصيصه بمكان معين بين بيوتهم لتزيد دلالة المكان وحضوره في النص الشعري، الامر الذي جعل سمة الافتخار واضحة في المكان وساكنيه، كيف لا والقادم هو رسول الله ﷺ الذي تشرفت البرية كلها بقدومه فما بال مدينة يسكنها وينشر دعوته للإسلام فيها.

إن توظيف المكان في النص كان له دلالات عدة , منها النصرة والاباء والشجاعة .... الخ , بيد أن هذه الدلالات لها رمزية خاصة بارتباطها بالرسول الأعظم ﷺ واثره في نفوس المسلمين, فكان المكان الذي قدمه الرسول ﷺ بينهم مدعاة للفخر عندهم ، لذا فقد عمد الشاعر لاستعمال الضمير(نا) بمساحة واسعة في النص الشعري(**منعنا / وسطنا / منعناه / بيوتنا/ بأسيافنا**) إنَّ حركية التكرار لأكثر من مرة يكشف لنا القيمة العليا لشخصه (عليه الصلاة والسلام) من خلال البعد التكراري, ولاسيما أن التكرار له دوافع نفسية وفنية، فالنفسية ذات وظيفة مزدوجة تجمع الشاعر والمتلقي على السواء ضمن ناحية الشاعر, والفنية تكمن في تحقيق النغمية والرمز لأسلوبه[٣٦].

الخاتمة :

١- ان للمكان دوراً بارزاً في ظهور غرض الفخر ولا سيّما في العصر الإسلامي والاموي ، وذلك لارتباطه الوثيق في الانتصارات والفتوحات الإسلامية .

٢- ارتباط الشعراء بالأمكنة التي عاشوا فيها ؛ وكانت لهم ذكريات جميلة أو مؤلمة ؛ أثّرا في تنامي غرض الفخر ، حباً لتلك الأمكنة واعتزازا بها وبماضيها التليد وحاضرها المشرق .

٣- استطاع الشعراء من خلال خيالهم الخصب وعواطفهم الجياشة إيصال احساسهم بالفخر بأوطانهم ، للمتلقي ومشاركته لهم من خلال التماهي مع النص الشعري .

٤- الانتماء المكاني عند الشعراء كانت له دلالات واضحة ومعبرة عن حالة الشاعر اثناء فخره بالأمكنة مما جعل من المكان باعثا حقيقيا لقول الشعر.

الهوامش :

(١) ينظر: الاتجاه النفسي في نقد الشعر: ٢٤٣

(٢) شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام : الدكتور: النعمان عبد المتعال القاضي ، مكتبة الثقافة الدينية ط ١ ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م : ١٣٠ لم اعثر له على الديوان

(٣) المصدر السابق : ١٣٠

(٤) ديوان عبدالله بن رواحة : د. وليد القصاب ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٩٨١ م : ١٤٩ و معجم البلدان ٥: ١٥٣

(٥) الديوان : ١٤٩

(٦) معان وهي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء، ينظر: معجم البلدان ٥: ١٥٣

(٧) بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن ، الشخصية) : حسن بصراوي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط٢ ، ٢٠٠٩م : ٣١

(٨) معجم البلدان ٥: ١٩٢

(٩) الابل المهارى – السريعة ،ينظر :لسان العرب ٢: ١٨٦ ، ٥: ٢١٢ اعراض السواد – ريف العراق ينظر : معجم البلدان ٥: ١٩٢

(١٠) الشنخاب – هي رؤُوسُ الجبالِ الْعَالِيَةِ. والشُّنْخوب: فِقْرَةُ ظَهْر البَعير. رجلٌ شَنْخَبٌ: طويلٌ. ، هاد – الراس ينظر :لسان العرب ١: ٥٠٧

(١١) الملطاط حرف من الجبل في أعلاه، والملطاط: طريق على ساحل البحر، وقال ابن دريد: ملطاط الرأس جملته، وقال ابن النجّار في كتاب الكوفة: وكان يقال لظهر الكوفة اللسان وما ولي الفرات منه الملطاط، معجم البلدان ٥: ١٩٢

(١٢) فتحية كحلوش : بلاغة المكان قراءة مكانه في النص الشعري : ، مؤسسة الانتشار العربي – لبنان، ط١ ، ٢٠٠٨م : ٢٤٤

(١٣) ينظر:ابي مسلم عبدالله ابن قتيبة الدينوري :المعارف ، تح – ثروت عكاشة ، دار المعارف ، ط٤ – د ت : ٤٣٣ و معجم البلدان ١: ٣٠٥

(١٤) مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب، معجم البلدان ١: ٤٨٩

(١٥) المكان والرؤية الإبداعية : د. نادية غازي العزاوي ، مجلة افاق عربية ، بغداد ، العدد ٣ : ٢٨

(١٦) شرح ديوان جرير : ٢٢٨

(١٧) والجوف: اسم واد في أرض عاد فيه ماء وشجر حماه رجل اسمه حمار بن طويلع كان له بنون فخرجوا يتصيدون فأصابتهم صاعقة فماتوا، فكفر حمار كفرا عظيما وقال: لا أعبد ربّا فعل بي هذا الفعل! ثم دعا قومه إلى الكفر فمن عصى منهم قتله وقتل من مرّ به من الناس، فأقبلت نار من أسفل الجوف فأحرقته ومن فيه وغاض ماؤه، فضربت العرب به المثل وقالوا: أكفر من حمار وواد كجوف ، ينظر :معجم البلدان ٢: ١٨٧

(١٨) طَخْفَةُ، بالكسر والفتح: جبلٌ أحمرُ طويلٌ، حِذاءَهُ آبارٌ وَمَنْهَلٌ، ومنه يومُ طَخْفَةَ ، لبني يَربُوع على قابوسِ بنِ المُنْذِرِ بنِ ماءِ السماءِ ، القاموس المحيط : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز بادى (المتوفي: ٨١٧هـ) ، تح، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ،ط ٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ١: ٨٣١

(١٩) فلسفة المكان في الشعر العربي : ٢٨

(٢٠) المصدر السابق : ٢٧

(٢١) الديوان ١٨ – ١٩ ، معجم البلدان ١: ٥٢٠

(٢٢) بَيْتُ رأسٍ: اسم لقريتين في كل واحدة منهما كروم كثيرة، ينسب إليها الخمر، إحداهما بالبيت المقدس، وقيل بيت رأس كورة بالأردنّ، والأخرى من نواحي حلب، معجم البلدان ١: ٥٢٠

(٢٣) طه ض. م.، أسعد ن. خ.، & خلف ح. إ. (٢٠٢٤). المكان عند شعراء طبقة المراثي في كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (ت٢٣٢هـ). مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية المجلد (٣١) العدد (٦) عام ٢٠٢٤م

(٢٤) كداء، الممدودة، بأعلى مكة عند المحصّب دار النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، من ذي طوى إليها : معجم البلدان ٤: ٤٣٩

(٢٥) ديوان زيد الخيل : ١٠٢ – ١٠٣ معجم البلدان ٥: ٦٠

(٢٦) جبل في ديار يربوع، وقرن في أسفله جرعة بيضاء في ديار أبي بكر بن كلاب بفرع السّرّة، وقرن في ديار عذرة، وجبيل في ديار نمير، وجبل لبني وبر ، وقال الحفصي: محجّر قرية في واد باليمامة ينظر :معجم البلدان ٥: ٦٠

(٢٧) المتخيل الشعري ، أساليب التشكيل ودلالة الرؤية في الشعر العراقي الحديث : محمد صابر عبيد : ٢١٨

(٢٨) معجم البلدان ٢: ٢٩١ لم اجد الديوان

(٢٩) معجم البلدان ٢: ٢٩٠

(٣٠) المكان في التجربة الشعرية (شعراء المدينة المنورة انموذجا) : محمد إبراهيم الديسي ، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة : ٣٤

(٣١) ديوان كثير عزة : ١٤١ ، معجم البلدان ٢ : ٣٩٤

(٣٢) نقا – الرمل ، الخوار – اسم موضع ، الدمث – المكان اللين من الرمل ، معجم البلدان ٢ : ٣٤٩

(٣٣) معجم الموضوعات الشعرية عند شعراء الطبقة الجاهلية الثانية في كتاب ابن سلام الجمحي : ايمان فرحان احمد / حمد محمود الدوخي : ١٧

(٣٤) معجم البلدان ٢: ٩٢

(٣٥) جابية الجولان وهي قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفّر في شمالي حوران، ينظر :معجم البلدان ٢: ٩١

(٣٦) البنيات الأسلوبية في لغة الشعر الحديث : د. مصطفي السعداني, منشأة دار المعارف, الإسكندرية – مصر , (د–ط) , ١٩٥٨م: ٢١١.

List of references :

- Taha Z. M., Asaad N. Kh., & Khalaf H.E. (2024). The place for the poets of the Lamentations class in the book Tabaqat Stallions of Poets by Ibn Salam Al-Jamhi (d. 232 AH). Tikrit University Journal for Humanities
- Dr. Mustafa Al-Saadani: Stylistic structures in the language of modern poetry: Dar Al-Maaref Foundation, Alexandria - Egypt, (D-I), 1958
- Darwish, A.Z. , (1994).Azza, K.D. Dar Sader Beirut: 1st Edition.
- Al-Disi , M. I . ; The place in the poetic experience (the poets of Medina as a model): - Center for Research and Studies of Medina.
- Muhammad Saber Obaid, M.S. (2001): The poetic imaginary - methods of formation and the significance of vision in modern Iraqi poetry - House of General Cultural Affairs - Baghdad - 1st Edition .
- Al-Qaisi, N.H. ; Diwan of Zaid Al-Khail Al-Tai: Al-Numan Press - Najaf Al-Ashraf .
- Munsi, H . (2001): The philosophy of place in Arabic poetry, an aesthetic thematic reading: from the publications of the Arab Writers Union - Damascus.
- Al-Fayrouz Badi ,M.T . (2005) . The surrounding dictionary: , Tah, Heritage Investigation Office at Al-Resala Foundation, under the supervision of: Muhammad Naim Al-Arqsousi, Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, 8th Edition,
- Al-Sawi , M.I . Explanation of Jarir's Diwan: Al-Nahda Press - Baghdad, d.t.d.
- Al-Azzawi, N.G : Place and Creative Vision: Arab Horizons Magazine, Baghdad, Issue 3
- Al-Dinuri, A.A. Knowledge: Tah - Tharwat Okasha - Dar Al-Maaref - 4th Edition - D T
- Kahlouch , F. (2008) . The eloquence of the place, reading its place in the poetic text: Arab Diffusion Foundation - Lebanon, 1st Edition.
- Basrawi, H. (2009) . The structure of the narrative form (space, time, personality): Arab Cultural Center, Morocco, 2nd Edition.
- Ibn Manzu r: Lisan al-Arab: Achieved by: Abdullah Ali al-Kabir , Muhammad Ahmad Hassab Allah , Hashem Muhammad al-Shazly: Dar al-Maaref: Cairo.
- Al-Qassab, W.(1981). Diwan Abdullah bin Rawahah: Dar Al-Uloom for Printing and Publishing, 1st Edition.
- Al-Qadi , A.A . (2005). The Poetry of Islamic Conquests in the Early Days: Library of Religious Culture - 1st Edition .
- Taha Z. M. , Asaad N. Kh. , & Khalaf H.E. (2024). The place for the poets of the Lamentations class in the book Tabaqat Stallions of Poets by Ibn Salam Al-Jamhi (d. 232 AH). Tikrit University Journal for Humanities
- Ahmed, F.I. , Al-Dokhi , H.M.(2024) Dictionary of poetic topics among the poets of the second pre-Islamic class in Ibn Salam Al-Jamhi's book: Tikrit University Journal for Humanities, Volume 31, Issue 6, AD: 17
- Al-Hamawi, S.Y.(2008) al-Rumi al-Baghdadi – Lebanon (d. 626 AH): Dictionary of countries, Dar Revival of Arab Heritage Beirut, 1st Edition.